جامعة عبد الرحمان ميرة مقياس النقد الأدبي الحديث

كلية اللغات والآداب السنة الثانية ليسانس (أدب)

قسم اللغة والأدب العربي

 المحاضرة الأولى: مدخل إلى مفهوم النقد الأدبي الحديث

مدخل:

 لا يجادل أحد في أهمية المفاهيم وضرورتها المعرفية، فهي مرتكز أساس من مرتكزات الفهم الصحيح ، ولهذا يعد تحديد المفاهيم واستكناه أصولها ، المدخل الأمثل والأنسب لمطارحة مختلف الإشكاليات واستيعاب مختلف الظواهر ومن بينها الظاهرة النقدية التي شهدت تحولات حاسمة في العصر الحديث ، تحولت على إثرها إلى حقل معرفي معقد متداخل مع علوم ومعارف إنسانية مختلفة : كالفلسفة وعلم التاريخ، علم الاجتماع ، علم النفس ، اللسانيات.... وعليه ، فإن الحديث عن العبارة الاصطلاحية المتكونة من ثلاثة ألفاظ( تركيب إضافي):" **النقد الأدبي الحديث**" ، كما أن الحديث عن مناهجه، قضاياه، مقولاته ، مساراته المختلفة يقتضي منا -بدءا -تقصي تاريخية المفهوم ومساره التطوري من المعنى اللغوي المعجمي إلى المعنى الاصطلاحي المستحدث بفعل عوامل المثاقفة والاقبال على ثقافة الآخر الغربي ، قبل التطرق إلى الإشكال المفهومي الناجم عن صك المصطلح في حد ذاته وربطه بملفوظ "الحديث' ، وهو ملفوظ ملتبس يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر.

 **النقد: المفهوم والدلالة**

يقول الناقد محمد مندور في كتابه المعنون" النقد المنهجي عند العرب": «ليس من شك في أن تحديد مدلول المصطلحات العلمية يكون جانبا من بناء العلم ذاته. والناظر إلى المعنى الذي يقصد إليه من النقد الأدبي، سواء عندنا أو عند الأوروبيين، لا يكاد يتبين حدوده على وجه دقيق»[[1]](#footnote-1)

 والواقع أن النقد العربي الحديث –على الرغم من المقدمات التراثية التي أطرت بداياته التأسيسية-قد استند في مجمله إلى مقتضيات النقد الأدبي القادم من الغرب مرتكزا على مدارسه ومناهجه، ناهلا من نظرياته وأفكاره، ولعل هذا ما يدعونا إلى استقصاء مفهوم النقد في مظانه الغربية قبل النظر في أشكال استخدامه عند العرب.

 إن الباحث عن أصول كلمة النقد في التراث الغربي، سيجد أنها ذات جذر في اللغة اليونانية، ثم عم استعمالها وتداولها في الثقافة الغربية بدلالات عدة هي:

1. الحكم: وهو أحد أقسام المنطق الذي يتناول الحكم.
2. القرار القضائي
3. التمييز Criticus [[2]](#footnote-2)، أي تمييز المرض,
4. الأزمة المرضية Crisis وانتقل هذا المفهوم إلى المسرح فصار يدل على: نقطة التحول في العرض، أو تدل على الأزمة، أي تلك المرحلة في القصة أو المسرحية التي يمتد فيها الصراع إلى درجة يتحتم فيها الوصول إلى حل حاسم.
5. اللحظة الحرجة ، ولحظة التحول في مرحلة المرض Critical
6. معيار، ميزان Criterionكانت مستعملة لدى الرواقيين في القرن الثالث قبل الميلاد,
7. القالب، مبدأ السبر والتعبير، هكذا تستعمل كلمة Criterium في الإنجليزية,
8. نزعة نقدية أو انتقاديةCriticism وهذا هو مذهب عمانوئيل كانط القائم على جعل نظرية المعرفة الأساس لكل مبحث فلسفي
9. دراسة النصوص الأدبية Critique استعمل هذا المصطلح للمرة الأولى في القرن الثالث قبل الميلاد لدى الفلاسفة الرواقيين,[[3]](#footnote-3) و كانت اللفظة تشير -بالتحديد- إلى نشاط النحاة المتمثل في التمييز النحوي ، وظلت كلمة( ناقد ) في عصر النهضة تعني النحوي أو بدقة أكثر" دارس النصوص الأدبية" الذي يعنى بتحقيق ما تلف منها ، ويذهب الباحث عبد المالك مرتاض في كتابه " في نظرية النقد" إلى أن هذا المصطلح نشأ في الغرب زهاء عام ثمانين وخمسمائة وألف للميلاد، وأن أول اصطنع مصطلح هناك ، في صيغة المذكر صارفا إياه بلك إلى من يمارس ثقافة النقد في صيغة المؤنث، كان هو سكالينييScaligner ، وقد كان يصرف دلالته إلى نحو ما يعني في التأثيل الإغريقي فن الحكم.

 وكما هو جلي فقد ارتبطت ممارسة الوظيفة النقدية في الموروث الثقافي الغربي بإصدار الحكم ، ليبقى النقد الأدبي في أعم معانيه هو الحكم على الأعمال الأدبية وعرضها، وتعريف الذوق والتقاليد الأدبية ، وتحديد المقصود بالعمل الممتاز، ومن هنا يكون النقد تلك العملية التي تزن ، وتقيم وتحكم. وخلافا لبعض الآراء ، لا يتعامل النقد مع العيوب فحسب. فالنقد الحصيف يحدد خاصيات الجودة وخاصيات الرداءة، الفضائل والنقائصن وهو لا يعلن الإطراء أو الازدراء ، بل يقابل بين مظاهر الإخفاق ومظاهر التميز، ثم يصدر الحكم المتأني.

 **أما عند العرب:**

 يحيلنا الجذر اللغوي لكلمة (نقد) في المعاجم العربية إلى مهمة معيارية، تتركز في تمييز الجيد من الرديء والحكم عليه، ذلك أن هذه الكلمة في أصلها اللغوي(النقد والتنقاد والانتقاد) تعني تمييز الدراهم و إخراج المزيف منها. وقد استعملت الكلمة في مجالات عديدة ظلت تدور حول هذا المعنى العام.

 بالفعل ،لقد ارتبط أصل المصطلح عند العرب بصناعة الصيرفة، لكنه ارتبط كذلك بمجموعة من المعاني الضرب أو النقر بالإصبع ، الاعطاء، اختلاس النظر ، العيب والاغتياب... ومن هذه المعاني اللغوية ولا سيما المعنى الأول ( تمييز الدراهم ) تولد المعنى الاصطلاحي للنقد وهو تمييز جيد الكلام من رديئه، ومن الصعب تحديد أول من استعمل اللفظة بمدلولها الاصطلاحي لأن النقاد العرب القدامى عرفوا النقد معنى وممارسة و لم يعرفوه مصطلحا وإنما كانوا يعبرون عن مدلوله بعبارات أخرى كقولهم العلم بالشعر وصناعة الشعر[[4]](#footnote-4) وبهذا المعنى استعملها جمهور الكتاب والعلماء مثل ابن سلام الجمحي وابن قتيبة والجاحظ وغيرهم ، وقد كان هؤلاء وغيرهم يقيمون ويوظفون مفهومه على أساس العلم بالشيء والحذق به ،والبراعة في المعرفة ، والدقة في الإدراك ، يقول ابن سلام: وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان(...)ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طرز ولا وسم ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة... [[5]](#footnote-5)

ولئن ذهب بعض الباحثين إلى أن قدامة بن جعفر هو أول من استعمل لفظة النقد بمدلولها العلمي المحدد في كتابه المعنون نقد الشعر وفيه يقول: «...ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا ...أما علم جيد الشعر من رديئه، فإن الناس يخيطون في ذلك منذ تفقهوا في العلوم فقليلا ما يصيبون»، إلا أن باحثين آخرين -مثل إدريس الناقوري-يعتقدون أن قدامة «استعمل الكلمة بعد أن أصبحت متداولة على ألسنة الشعراء والعلماء والمتأدبين في القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع للهجرة»[[6]](#footnote-6).

مهما يكن من أمر، فقد ظل ورود كلمة النقد في تلك المراحل من تاريخ الأدب العربي في دائرة الدلالة الاصطلاحية المعبرة عن سياق نقدي محدود بحدود ما يوجبه فعل التمييز الذي هو جوهر العلاقة اللغوية والدلالية بين الناقد والمنقود، ومن اللافت أن هذا الاستخدام الاصطلاحي قد استمر حتى العصر الحديث، مؤكدا رسوخ العلاقة الدلالية بين" النقد" و"التمييز"، ومن ذلك ما يورده الناقد محمد مندور معرفا النقد بأنه «فن دراسة النصوص وتمييز الأساليب»[[7]](#footnote-7). وغير بعيد عن هذا المعنى الاصطلاحي، يستعرض الناقد محمد غنيمي هلال المفهوم الحديث للنقد الأدبي معتبرا أن جوهره يقوم «أولا على الكشف عن جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي، وتمييزها مما سواها عن طريق الشرح والتعليل. ثم يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها».[[8]](#footnote-8) أما الناقد فيذهب في كتابه المعنون الأدب ومذاهب النقد فيه إلى أن النقد «فن يتوصل به إلى فهم النص الأدبي وتذوقه وتحليله وتمييز مواطن الحسن والقبح في معانه وألفاظه، في صوره وأساليبه، في عواطفه وأخيلتهـ في صدق قائله وانطباقه على مشاعره، ثم مقارنته بغيره من النصوص وتقدير درجته بما تقتضيه أصول هذا الفن»[[9]](#footnote-9)

 وكما هو جلي فإن هذه الاجتهادات التعريفية الحديثة تتقارب في نتائجها و تتشاكل فيما بينها غير مبتعدة عن جوهر المعنى اللغوي الأساس الذي استعار منه مصطلح النقد اسمه، في النطاقين الغربي والعربي على حد سواء-، وهو ما يقودنا إلى نتيجة هامة مفادها أن مصطلح النقد الأدبي في أصل دلالته يحمل مهمة معيارية بما أنه يحيل إلى معنى التمييز وما ارتبط به من معاني الحكم، الفحص، التقويم، التقييم ....وهو المعنى الاصطلاحي الذي درج عليه الدارسون ردحا غير قصير من الزمن.

حول صفة الحديث: لا يكتمل الحديث عن المفهوم الاصطلاحي للمركب النعتي" النقد الأدبي الحديث" دون الوقوف على معنى كلمة الحديث التي تتخذ –هاهنا موقع الفة، يقول الباحث محمد حسن عبد الله في كتابه المعنون مداخل النقد الأدبي الحديث: «إن وصف النقد بأنه الحديث أضافه المترجمون والمثقفون بالثقافات الغربية من العرب ليدلوا على المصدر الجديد الذي أخذوا عنه، وليضعوا هذا النقد الحديث في مقابلة أو تعارض مع "النقد العربي القديم"، و"النقد (الغربي) الحديث" من اختلاف يمس جوهر فكرة النقد، ومناهجه، وأهدافه. إن مصطلح النقد الأدبي، مأخوذ عن أصل يوناني معناه: الحكم، أو التفكير، ولا يختلف هذا عن معنى كلمة نقد في المعجم العربي، فهي بمعنى التمييز والحكم أيضا، ولكن الاختلاف يظهر في:

1. التكوين الثقافي ، الفلسفي، الاجتماعي الذي يستند إليه الناقد.
2. الأنواع الأدبية التي يتخذها الناقد "وثائق" يستقرئ أفكاره وأحكامه من خلالها ، كما يتخذها مادة لتطبيقاته.
3. الاستمرار المعرفي المتنامي ، عبر جدلية ثقافية تبحث عن الجديد ، وتتقبله و تستثمره ، ثم تتجاوزه بارتياد معرفي جديد ...وهكذا...»[[10]](#footnote-10).

ويبدو أن هذه النقاط المشار إليه أعلاه، هي مكامن القوة التي تلازم النقد الغربي الحديث وتضمن تفوقه على النقد العربي الذي ظل محصورا ومحاصرا بجملة من نقاط الضعف لعل أهمها : التركيز على الجانب اللغوي البلاغي دون غيره من الجوانب، الاقتصار على الشعر دون غيره من الأنواع الأدبية ،التجزيئية وعدم الاهتمام بالتشكيل الشامل لمكونات القصيدة الذي يمكن أن يعزى إلى انحسار الوعي النظري و تضاؤل الوعي بالعلاقة بين الابداع الأدبي والمجتمع وغيرها من النقاط التي ارتأى الباحث محمد حسن عبد الله توصيفها بعوامل النضوب أو الجمود الإبداعي / النقدي التي يعمقها -حسب رأي الباحث دائما -وجود «نضوب وجمود في التطور الاجتماعي ، ونظم الحكم التسلطية المتوارثة، وتحجر الأنساق الطبيقية، وإلقاء المقاليد لعناصر أجنبية لعدة قرون تصلبت فيها شرايين الحياة العربية»[[11]](#footnote-11).

والحاصل مما سبق قوله أن صفة الحديث ليست صفة نابعة من صميم النقد العربي المنعوت بها ، أو لنقل ليست نابعة من عمق التجربة النقدية العربية التي تصبو إلى التغيير والتجديد ومجاوزة القديم في وعيه وقيمه ورؤاه ، بقدر ما هي صفة طارئة عليه ، بالنظر إلى أن عملية التحديث في العالم العربي استندت إلى معايير منبثة أصلا من التجربة الحضارية الغربية ، يقول عبد الله إبراهيم:.\* اقترنت ولادة العصر الحديث مع الممارسة الغربية في ميادين المعرفة و الاكتشافات الجغرافية، ومؤسسة الدولة بركائها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية و السياسة. ومن الواضح أن صفة الحديث التصقت بالمضمون الأيديولوجي الذي أشاعته الثقافة الغربية بما يوافق منظورها ، ويترتب ضمن الأفق العام لتصوراتها، فيما يخص العالم والانسان. »[[12]](#footnote-12)

و لئن كانت صفة الحديث أقدم في الظهور من مصطلح الحداثة، فإنها باتت صفة ملازمة له في النطاق الغربي، ي وضمن هذا المساق يمكننا القول\* إن الحداثة حركة فكرية حديثة وشاملة كرؤية جديدة للعالم، آذنت بميلاد نظام معرفي جديد في أوربا، وأنزلت العقل منزلة السلطة المرجعية المعرفية الوحيدة في إدراك العالم الطبيعي والاجتماعي، وتكريس الإنسان هدفا نهائيا للتحرر والتقدم، وكأنها ثورة تتجه صوب التجديد وإلغاء القديم ، عنوانها العقل القاطع للصلة بينه وبين الماضي البالي ، كما يصوره أصحابها ، آخذا طريقه نحو التحديث في شتى مجالات الحياة.»[[13]](#footnote-13)، وبهذا المفهوم الذي يحيل إلى القطيعة مع الماضي بتراثه وتقاليده، انتقلت الحداثة إلى سياقنا العربي ، وتوافقت مع ما يحمل عصرنا مع شعور بالانهزام، وعقدة النقص في مواجهة الآخر، والتي حاول الكثيرون ربطها بالموروث القديم للأمة ، ومحاولة الثورة عليه والتخلص منه، والبحث عن كل ما هو جديد يتوافق مع روح العصر العلمي والمادي، ويوافق الإيديولوجيات الوافدة على عالمنا الإسلامي.[[14]](#footnote-14)

1. - محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ص10. [↑](#footnote-ref-1)
2. - ينظر : ناظم عودة، تكوين النظرية في الفكر الأسلامي والفكر العربي المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا ، ط1، 2009، ص108-109 [↑](#footnote-ref-2)
3. [↑](#footnote-ref-3)
4. - إدريس الناقوري، المصطلح النقدي في نقد الشعر، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1982، ص369, [↑](#footnote-ref-4)
5. -جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ج1، دار الكتب

العلمية، لبنان، 2014، ص136. [↑](#footnote-ref-5)
6. - إدريس الناقوري، المرجع نفسه، ص 370. [↑](#footnote-ref-6)
7. - محمد مندور، في الميزان الجديد، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، [↑](#footnote-ref-7)
8. - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د ط، 1997، ص9. [↑](#footnote-ref-8)
9. -رشيد العبيدي، الأدب ومذاهب النقد فيه، مطبعة التفيض، بغداد، ط1، 1954، ص96. [↑](#footnote-ref-9)
10. - محمد حسن عبد الله، مداخل النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005،ص14-15, [↑](#footnote-ref-10)
11. - المرجع السابق، ص 15, [↑](#footnote-ref-11)
12. -عبد الله إبراهيم ، المركزية الغربية(إشكالية التكون والتمركز حول الذات،. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2003، ص15 [↑](#footnote-ref-12)
13. - بوزبرة عبد السلام، طه حسين ونقد الحداثة، جداول للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2011، ص30 [↑](#footnote-ref-13)
14. - علي محمود علي العمري، المحصل في فلسفة الحداثة، دار النور المبين ، الأردن ، 2017 ، ص 9 [↑](#footnote-ref-14)